توظيف الحريري للقرآن الكريم في المقامات

Elhariri's employment of the Quoran in Denominators

محمود شمس الدين *

سليمة مدلفاف ♣

تاريخ الإرسال: 2021/01/15	تاريخ القبول: 2021/04/26	تاريخ النشر: 2021/12/20

الملخص:

عرفت الدراسات البلاغية المعاصرة سمة الاستقلالية عند كثير من الباحثين لتعدد المجالات التي تنهل منها، ولانفتاحها على المناهج النقدية المتعددة، والمتأمل في مقامات الحريري يدرك مواطن جمالها ومكامن بيانها، والمستلهمة غالبا من محاكاتها لنصوص سابقة لها، وهي تختلف في درجة تأثيرها عند متلقيها، باختلاف قوتها الحجاجية، ويعد القرآن الكريم أكثرها إلزاما، بحكم اشتراك طرفي الخطاب في اعتباره ذا سلطة علوية مطلقة، وأثره يتجلى في تأكيد المعاني التي يوردها، ليحصل به التأثير الفعلي على العقول والمسبوق عادة بالتأثير العاطفي على القلوب.

الكلمات الدالة: توظيف ،القرآن الكريم ،مقامات الحريري، التناص، حجاجية التناص.

Abstract:

The modern eloquent studies have witnessed the feature of autonomy for several researchers because of the severalness of the fields it intakes from and its openess to different critical approaches.The one who contemplates in Elhariri's Denominators realises their beauty and their style which is derived from their likeness to previous texts.They differ on their recipient acoording to their argumentative strenghth.The most obligatory

المؤلف المرسل: محمود شمس الدين mah111128@yahoo.com

* mah111128@yahoo.com em.chemseddine@univ-blida2.dz

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية جامعة علي لونيسي البليدة 2

♠ *salimamedel@yahoo.fr* s.medelfef@univ-blida2.dz

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية جامعة علي لونيسي البليدة 2

المنارة للاستشارات

one is the Quoran as its speech is from an absolute high authority and its impact is clear in the meanings it denotes evidently for the sake of real impact on minds which is usually preceded by emotional impact.

Key words: employment, Quoran, Elhariri's Denominators intertextuality, the argumentation of intertextuality.

*** *** ***

مقدمة:

يقوم النص الجديد على هدم الحواجز التي تفصله عن النصوص السابقة له فيأخذ منها بقصد أو بدون قصد، أي أن التناص هو:« تحويل وتمثيل نصوص عديدة يقوم بها نص مركزي يحتفظ بريادة المعنى وقيادته»[1]، الأمر الذي يمكنه من حمل المتلقي على استحضار أزمنة، وأحداث، ودلالات مختلفة، وهذا ما يجعل التناص قائما في كل النصوص الأدبية. ولقد عمد الحريري في مقاماته إلى التناص مع نصوص مختلفة بغية دعم رأي، أو الانتصار لقضية ما، فجاءت متفاوتة في سلطتها التأثيرية والإقناعية على المتلقي، ولا شك في أن أقواها أثرا في النفوس وتأثيرا على العقول هو النص القرآني، لما يحمله من خصائص لغوية، وفنية:« وهو أقوى النصوص سلطة بحكم ثقافة باث الخطاب ومتلقيه معا»[2]، ولقد أدرك الحريري ما لهذا النص المقدس من سلطة علوية مطلقة فاستعمل حججه البالغة:« والواقع أن مؤسس الخطاب الحجاجي أيا كان هذا الخطاب يعي عادة الفضاء الذي يتحرك فيه خطابه ويعرف ضرورة الرموز المعبرة عن انتماء متلقيه الثقافي والاجتماعي فيوظفها بطريقة ذكية تمكن من الإقناع والحمل على الإذعان.»[3]. فإلى أي حد وفق الحريري في توظيف القرآن الكريم في مقاماته؟ وهل استطاع حمل المتلقين على التعاطف مع أبطاله؟.

2. تعريف المقامة:

اكتمل نضج المقامة كلون أدبي عند العرب في القرن الرابع الهجري، و قد عرفت عند ابن قتيبة، وابن دريد بداية، إلا أن الهمذاني يعد عند الدارسين والنقاد أول من أخلص لهذا الفن، فرتبه وأخرجه في أجمل حلة، وإليه يرجع الفضل في شد الأنظار إليه.

2-1-لغة:

يدل لفظ المقامة لغة على: مجلس القبيلة، وفيها معنى الجماعة التي يضمها هذا المجلس، وإلى ذلك أشار زهير بن أبي سلمى حين أشاد بمجلس قبيلته فقال:

وفيهم مقاماتٌ حسان وجوهها وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ[4]

وفي معنى الجماعة التي يضمها المجلس يقول لبيد بن ربيعة(ﷺ):

ومقامةٍ غلب الرقاب كأنهم جنٌ لدى باب الحصير قيام[5]

ولما كان الأغلب تغير الكلمة والمصطلح في دلالتهما بمرور الزمان واختلاف المكان فقد تدرج مفهوم المقامة اللغوي، ليدل على وقوف شخص أمام جماعة معلما و واعظا:«وبهذا المعنى استعملها بديع الزمان في المقامة الوعظية، إذ نرى أبا الفتح الإسكندري يخطب في الناس واعظا وعظا بديعا.»[6].

2-2-اصطلاحا:

انتصر أغلب من عرف المقامة إلى كونها قصة، وفي هذا يقول يونس نور عوض:«إنها قصة قصيرة تشتمل على حبكة شاملة ذات موضوع، وأبطالها لا يخرجون عن الإطار الذي رسمه لهم الكاتب في واقعهم الدرامي.»[7]، وفي التعريف جعل المقامة قصة قصيرة ، فهي تشترك معها في بنائها الفني.

وعرفها أنيس المقدسي بقوله:«إنها حكايات قصيرة مقرونة بنكتة أدبية أو لغوية.»[8] ، وتعريف المقدسي أبقاها في إطار القصة القصيرة، وزاد أن حملها بالطرفة في طياتها.

وحدها زكي مبارك بأنها:«القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية أو نظرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون.»[9]، ولم يخرجها هذا التعريف من دائرة القصة القصيرة، وإن أضاف لها نزعة فلسفية أو وجدانية في إطار الدعابة والطرفة.

أما شوقي ضيف فقد خالفهم فيما ذهبوا إليه في اعتبار المقامة لونا من ألوان القصة، حيث يقول:«ليست المقامة قصة وإنما هي حديث أدبي بليغ، وهي أدنى إلى الحياة منها إلى القصة.»[10]، ولئن خالف هذا التعريف أغلب النقاد في تعريفاتهم للمقامة إلا أنه جعلها في نطاقها الأدبي البليغ والذي ستعرف به عند أغلب المعاصرين.

المنارة للاستشارات

3- مقامات الحريري:

3-1- ترجمة الحريري:

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري«ولد لأسرة عربية سنة446للهجرة بضاحية من ضواحي البصرة، تسمى المشان، كثيرة التمر والرطب والفاكهة. وبها كانت ملاعب صباه ومسارحه. ولما شبّ تحول منها إلى البصرة، ونزل بحيّ فيها يسمى حيّ بني حرام، وأكبّ على الدراسات الدينية والعلوم اللغوية والنحوية.»[11] وتعد المقامات أشهر ما ألف الحريري، فقد ذاعت في زمنه، واستمرت إلى أيامنا هذه.

3-2- مقاماته:

اقتدى الحريري ببديع الزمان الهمذاني في تأليف مقاماته، فنسج على منواله في نمط بنائها، وطريقة سردها:« إذ ليس أبو زيد عنده إلا كأبي الفتح عند البديع، فهو من وهمه وعمل مخيلته ابتدعه ابتداعا ليدير عليه مقاماته.»[12]، ولقد رتب الحريري مقاماته فهذه المقامة الأولى وتلك الخمسون، وكل مقامة بينهما تأخذ الرقم الخاص بها، وفي هذا دليل على إحكام بناء حلقاتها. وفي المقامة الصنعانية وهي الأولى في الترتيب يقوم الحريري بالتعريف بين راويته "الحارث بن همام" ، وبطله "أبي زيد السروجي" ليسافر به أديبا مستجديا في بقية المقامات من بلدة إلى أخرى في ربوع البلاد الإسلامية:«وهي بلاد متباعدة. وفي كل بلدة يقوم البطل بحيلة على من حوله من الناس أو الحكام والقضاة وفي كل مرة يعرفه الحارث بعينه، ويكشف أمره وسره.»[13]، وجاءت المقامات من الأولى إلى الثامنة والأربعين على الوتيرة نفسها، وفي التاسعة والأربعين وهي المقامة الساسانية يبلغ فيها أبو زيد السروجي أرذل العمر، فما كان منه إلا أن يوصي ابنه بحفظ عهده، إذ الكدية خير عمل يعمله. وفي المقامة البصرية وهي الأخيرة يعود السروجي إلى بلدته سروج، ومازال الحارث يتتبع أثره حتى أدركه ليجده وقد صار الزاهد العابد، فلبس الصوف وأصبح ذا الكرامات بعد أن كان صاحب المقامات، ويرحل عنه الحارث بعد أن سأله النصح فيبذله له قائلا:«اجعل الموت نصب عينيك، وهذا فراق بيني وبينك(...)وكانت هذه خاتمة التلاقي.»[14]. ولقد استحضر الحريري في مقاماته نصوصا مختلفة المصادر، ومتفاوتة في درجة تأثيرها عند المتلقين، وكانت أكثرها

ورودا وأشدها حجة النصوص القرآنية، فكيف وظفها؟ وما درجة امتصاص نصوص المقامات منها؟.

غني عن البيان ما للقرآن الكريم من قوة تأثيرية على القلوب والعقول، فسلطته الإقناعية مشتركة عند جميع المسلمين، فإذا أراد أحد إقناع غيره بفكرة ما، استحضر ما يدعمها من آي القرآن الكريم، وللوقوف على أشكال هذا التوظيف في المقامات سنعمد إلى تقسيمه إلى أقسام ثلاثة، هي:

- توظيف القصص القرآني.
- توظيف آية قرآنية بعينها.
- توظيف معنى آية.

4- توظيف القصص القرآني:

حملت سورة "يوسف عليه السلام" دلالات حسية ومعنوية تجاوزت كل وصف فهي تصور مراتب النفوس، وتظهر ما يعتريها من محبة وبغض وحزن وفرح وغيرها، ولا ريب في أن القرآن الكريم يحمل جميع مقومات الاستقامة:«باعتباره كتاب إصلاح أساسا وباعتباره جوابا عن سؤال الأمة وحلا لخلافات قائمة أي باعتباره، في كلمة واحدة كتاب حجاج»[15]، ولقد أدرك الحريري هذه الأبعاد الحجاجية فوظفها في المقامة الزبيدية ليحاكي فيها قصة سيدنا "يوسف عليه السلام"، مستلهما من دلالاتها والوقائع التي توالت فيها وبخاصة بيع أبناء نبي الله "يعقوب ليوسف عليهما السلام" وما تبعها من أحداث لتكون حججا داعمة لما يطرحه من آراء. و مع هذا فالمقامة بقيت محافظة على الكدية التي تبدأ بالخداع عادة، وتكتمل بتحقيق مآرب صاحبها، والحريري في كل هذا:«لا يبارى في انتخاب ألفاظه واختيار كلماته.»[16]، ولقد أدرك ما ستضفيه مكانة الشخص في سير أحداث المقامة، ولا شك في أن أكثر ها تأثيرا هي شخصية نبي الله"يوسف عليه الصلاة والسلام".

4-1- حجة الشخص وأعماله:

اصطفى الله تعالى من عباده رسلا وخصهم بتبليغ شرعته للبشر، و كان في قصصهم عبرة لمن تدبر ها، وفي المقامة الزبيدية وظف الحريري سورة"يوسف" محاكيا أحداثها من

المنارة للاستشارات

بدايتها إلى نهايتها، فجاء توظيفه لحجة الشخص:« انطلاقا من الذات التي يعبر عنها أو يجلها ويوضحها.»[17]، ويروي الحارث كعادته في بداية كل مقامة وبعد أن قدم إلى بلدة زبيد وهي ثاني أكبر الحواضر اليمنية بعد صنعاء وقتئذ، فيقيم بها مع خادمه الذي ما لبث أن مرض ومات، وبعد أن ذهب الحزن عن الحارث تضطره الحاجة إلى شراء عبد من سوق النخاسة، فيملي على النخاسين شروطا وجب توفرها في بغيته غير أنها تعجزهم جميعا، إلى أن يرى نخاسا قد اختطم بلثام وقبض على ساعد غلام وقال:

من يشتري مني غلاما صنعا * في خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نطت به مضطلعا * يشفيك إن قال وإن قلت وعى
وإن تصبك عثرة يقل لعا * وإن تسمه السعي في النار سعى
وإن تصاحبه ولو يوما رعى * وإن تقنعه بظلف قنعا
وهو على الكيس الذي قد جمعا * ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا أجاب مطمعا حين دعا * ولا استجاز نث سر أودعا
وطالما أبدع في ما صنعا * وفاق في النثر وفي النظم معا
والله لولا ضنك عيش صدعا * وصبية أضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال: فلما تأملت خلقه القويم، وحسنه الصميم، خلته من ولدان جنة النعيم وقلت: ما هذا بشراً ! إن هذا إلا ملك كريم »[18]. ويظهر التناص جليا بين شخصية الغلام "ابن السروجي"، وشخصية يوسف "عليه السلام" في عدم الاستجابة لدعوة الغواية والتحلي بمكارم الأخلاق:«لقد كشفت هذه المقامة عن تناص مع قصة "يوسف عليه السلام"يمتد في المقامة من بدايتها إلى نهايتها، وقد وظف هذا التناص بسلطته الرمزية في المتلقي _ سواء في المتلقي المباشر (الحارث بن همام، والقاضي)،أم في بقية المتلقين للمقامة_ بما أحدثته من إقناع على مستوى الدلالة، وعلى مستوى البنية»[19] فصورت مراتب النفوس وتقلبها بين الخير والشر. وفي هذا الجدول مواضع توظيف آيات السورة- بنصها أو بمعناها- في المقامة الزبيدية:

الرقم	المقامة	نص التوظيف القرآني في المقامة	السورة
01	الزبيدية	من يشتري مني غلاما صنعا...ما بعته بملك كسرى أجمعا	يوسف 20
02		خلته من ولدان جنة النعيم، وقلت: ما هذا بشرا! إن هذا إلا ملك كريم	يوسف 31
03		ويغلي السيمة عليّ	يوسف 20
04		فأصغ له أنا يوسفٌ أنا يوسفُ	يوسف 90
05		ونبذت فعلته ظهريا و إن كانت شيئا فريا	يوسف 89 -92

يلاحظ القارئ للمقامة الزبيدية محاكاتها لقصة نبي الله"يوسف عليه السلام" من بدايتها إلى نهايتها، فكان لتوظيف أحداثها التي رافقت مراحل حياة نبي الله استحضار لحجة الشخص وأفعاله، فالرسل معصومون من الذنوب. وقد كان لهذه المحاكاة أثر في سير أحداث المقامة وترتيبها، لتؤدي غاياتها الحجاجية التي يراد بها حمل المتلقي على الاقتناع لما يعرض عليه من آراء، أو عدم الاعتراض عليها.

5- توظيف آية قرآنية بعينها:

لم يقتصر توظيف الحريري في مقاماته على القصص القرآني، بل نجده في مواضع أخرى من بعض مقاماته يستحضر آية كريمة بعينها مستخدما دلالتها القريبة(المعجمية)، أو البعيدة (التأويلية)، بحسب ما تقتضيه المواقف التي يتعرض لها أبطال مقاماته، ويكون هذا التوظيف باستعمال النص القرآني دون زيادة، أو نقصان وبإدماجه في نص المقامة:« مما يكسب الخطاب سلطة رمزية تجعل المتلقي يذعن لمرامي المرسل حيث إن المرسل والمتلقي يفترضان في النص الديني أنه أعلى نظريا من النص الشعري أو غيره »[20]، وعليه فالحديث عن سلطة النص القرآني على طرفي الخطاب هو حديث عن قوة تأثيرية قائمة على ركيزتي التسليم وإقامة الحجة، فهي تهدم معتقدات

المنارة للاستشارات

فكرية لتبني مكانها ما يسلم العقل بصحته، والقلب بصدقه. وتأتي الآيات في هذا التوظيف على سياقين [21]:

5-1- سياق يدمج الآية القرآنية في بناء نص المقامة:

وهنا يأتي ذكر الآية القرآنية، أو جزء منها داخل سياق المقامة دون أن يخرجها من مفهومها العام الذي وردت فيه في السورة القرآنية، ومثاله ما جاء في المقامة الحلوانية من تفطن السروجي لما راود أذهان الحاضرين وعدم تصديقهم له:« وفطن لما بطن من استنكارهم. وحاذر أن يفرط إليه ذم، أو يلحقه وصم. فقرأ إن بعض الظن إثم »[22] تناصا مع قوله تعالى:« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم.» (الحجرات 12)، والتناص هنا مع ظاهر الآية لفظا ومع معناها دلالة، فجاء لإقامة الحجة من السروجي على من ظنوا به ظن السوء، فكان أن سبقهم إلى النهي عن سوء الظن الذي في صدورهم قبل أن يظهروه علانية. و توظيفه هنا لحجة قرآنية له وقعه في نفوس القوم لورود صيغة النهي في الآية الكريمة.

وفي الجدول مواضع هذا النوع من التوظيف التي استحضرها الحريري في مقاماته:

الرقم	المقامة	نص التوظيف القرآني في المقامة	السورة
1	الحلوانية	-إن بعض الظن إثم.	الحجرات 12
2	الإسكندرية	-فعسى الله أن يأتي بالفتح، أو أمر من عنده .	المائدة 52
3	الساوية	-لمثل هذا فليعمل العاملون -ثم كلا سوف تعلمون	الصافات 61 التكاثر 4
4	المكية	-حاجة في نفس يعقوب	يوسف 68
5	الفرضية	-وقلت: ادخلوها بسلام	ق 34
6	القهقرية	-وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء	المجادلة 29

7	السنجارية	-لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة -وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم	الحشر20 البقرة216
8	الرازية	-ونهى النفس عن الهوى . -وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى	النازعات 40 النجم 39، 40
9	الفراتية	-الجواري المنشآت . -إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم	الرحمن 24 ص 218
10	الشعرية	-ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حي عن بينة	الأنفال 42
11	القطيعية	-أنا أنبئكم بتأويله -ولو زدتم زدنا، وإن عدتم عدنا	يوسف45 الإسراء8
12	الكرجية	-ولا تقف ما ليس لك به علم	الإسراء 36
13	الرقطاء	-أو أجد على النار هدى	طه 10
14	الوبرية	-وما أريد أن أشق عليك	القصص 27
15	الواسطية	-نظر نظرة في النجوم -إنها لإحدى الكبر -لقد جئت شيئا نكرا	الصافات88 المدثر35 الكهف74
16	الصورية	-ونمارق مصفوفة -والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم -المتصدقين والمتصدقا ت -إن خفتم عيلة، فسوف يغنيكم الله من فضله	الغاشية15 المعارج 24،25 الأحزاب 35 التوبة28

المنارة للاستشارات

17	الطيبية	-كأنهم إلى نصب يوفضون -وعلم آدم الأسماء -فاصدع بما تؤمر	المعارج 43 البقرة31 الحجر94
18	الملطية	-كأن لم تغن بالأمس	يونس 24
19	المروية	-وكان فضل الله عليك عظيما -وأحسن كما أحسن الله إليك	النساء 113 القصص 77
20	العمانية	-هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم -اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها -وجاءهم الموج من كل مكان -حتى أفضينا إلى قصر مشيد -في العذاب المهين	الصف 10 هود 41 يونس 22 الحج 45 سبأ 14
21	التبريزية	-إن هذا لشيء عجيب	هود 72
22	التنيسية	-على ما فرطت في جنب الله -مرج البحرين -أتأمرون الناس بالبر، وتنسون أنفسكم -ولى مدبرا ولم يعقب	الزمر 56 الفرقان 53 البقرة 44 القصص 31
23	النجرانية	-فإن أتممت عشرا فمن عندك	القصص 27
24	الحلبية	- صنوان وغير صنوان -فاذكروني أذكركم، واشكروا لي ولا تكفرون -ولا ينبئك مثل خبير	الرعد 4 البقرة 152 فاطر14
25	الحجرية	-ولا تتبع الهوى فيضلك	ص 26

26	الساسانية	-إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون -ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط	يوسف 87 الإسراء 29
27	البصرية	-لا ريب فيه -وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات -سيماهم في وجوههم، من أثر السجود -فإذا عزمت فتوكل على الله -هذا فراق بيني وبينك	البقرة 2 الشورى 25 الفتح 29 آل عمران 159 الكهف 78

هذه مواقع توظيف الحريري للآيات القرآنية بنصها دون زيادة أو نقصان في نصوص مقاماته، وغاية هذا التوظيف الأولى هي جعل المتلقي يذعن لما يطرح عليه من قضايا فتكون ملزمة له، لعلمه بأن النص القرآني يحمل أبعادا حجاجية في ثناياه، إذ يخاطب ربنا عز وجل به العقول والقلوب بما يحملها على التسليم لكل ما يطرحه عليها من قضايا، و في مختلف مناحي الحياة الروحية والمادية، فهو خطاب متجدد، يواكب الزمن وتحولاته المعرفية المختلفة.

5- 2 - سياق يوظف الآية بنصها في دلالة مغايرة لدلالتها القرآنية:

وفيه يوظف الباث في المقامات النص القرآني بلفظه، توظيفا مخالفا للدلالة العامة للآية القرآنية. ومن أمثلته نذكر ما جاء في المقامة الشتوية حيث ينأى السروجي عن الحديث مع جلسائه وقد:«أعرض إعراض العلية عن الأرذلين، وتلا إن هذا إلا أساطير الأولين »[23]، ليتناص مع قول الله عز وجل:« وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين.»(الأنفال31)، ويظهر جليا عدم توافق دلالة الآية الكريمة مع مراد السروجي في رده على ندمائه ومجاراتهم في حكاياهم إذ ما لبث أن قام فيهم خطيبا، أما مراد الآية الكريمة فمرتبط بجحود الكفار وعنادهم وقولهم لرسول الله "صلى الله عليه وسلم" أن:« هذا القرآن الذي تتلوه علينا إلا أكاذيب وأباطيل وحكايات الأمم

المنارة للاستشارات

السابقة سطروها وليس كلام الله تعالى»[24] إضافة إلى اختلاف الدلالة فالخطاب في الآية القرآنية صادر ممن جحدوا برسالة سيدنا محمد "ﷺ" في زمن البعثة وادعوا أن القرآن الكريم إنما هو من أساطير الأمم السابقة ووصف السروجي لحديث أصحابه يأتي من قبيل تكرير القول مما يبعث على الملل في النفس، ولا يحملهم فيه على الكفر، فهو بهذا مخالف لدلالة الآية الكريمة، وإن وافقها في اللفظ.

وفي هذا الجدول مواضع توظيف الحريري لهذا النمط في مقاماته:

الرقم	المقامة	نص التوظيف القرآني في المقامة	السورة
1	الدمشقية	-اقض ما أنت قاض	طه72
2	السنجارية	-كما يئس الكفار من أصحاب القبور	الممتحنة13
3	الفارقية	-نصر من الله وفتح قريب	الصف13
4	الفراتية	-تحسبها جامدة، وهي تمر مر السحاب	النمل88
5	السمرقندية	-الناس يدخلون في دين الله أفواجا	النصر2
6	الشتوية	-إن هذا إلا أساطير الأولين	الأنفال31

هذه مواضع توظيف الحريري للآيات في فضاء مغاير لسياقها القرآني، ويمكننا القول بأنه استطاع توظيف هذا النمط من التناص توظيفا أمد مقاماته بآليات حجاجية إضافية، مستمدة من ثقافة المتلقي الدينية، والتي مكنته من الانفتاح على دلالات متعددة، بالرغم من مخالفتها للسياق العام لدلالة الآيات، فكان أن حملها معاني مغايرة أملتها سياقات المقامات المتنوعة، فوافقتها في تناغم ألفاظها ودلالاتها ما مكنها من زيادة درجة حجاجيتها.

6 - توظيف معنى آية:

وفي هذا التوظيف يعمد الحريري إلى تحوير في النص القرآني بما يتناسب وسياق المقام الخطابي للمقامات، والذي يحافظ على حجاجيته التي اكتسبها من تناصه مع النص القرآني المحور، ليمد نص المقامة بآلية:«دلالية، ترفد النص بسلطة رمزية فيما هو مشترك بين الباث والمتلقي من قداسة النص القرآني وحجيته»[25]. ومن صور هذا التوظيف ما جاء

في المقامة الصنعانية على لسان السروجي:«وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك. وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك»[26]، تناصا مع قول الله تعالى:«يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا»(النساء 108). وفي المقامة نفسها نجد تناصا آخر في قول السروجي:«أتظن أن ستنفعك حالك، إذا آن ارتحالك؟ أو ينقذك مالك، حين توبقك أعمالك؟ أو يغني عنك ندمك، إذا زلت قدمك! أو يعطف عليك معشرك، يوم يضمك محشرك»[27]، تناصا مع قوله تعالى:«ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانية»(الحاقة 28-29)، ويبدو جليا حديث السروجي عن ندم الإنسان الذي يؤتى كتابه بشماله يوم القيامة، والتساؤل عن مصيره يحمل الجواب أيضا، فهو يستفسر عن شيء معلوم حينها وأخبرنا به القرآن الكريم قبل وقوعه، وفحواه أن المال لا ينفع يوم القيامة، كما العشيرة لا تشفع.

والجدول فيه رصد لمواقع هذا النمط من التوظيف في المقامات:

الرقم	المقامة	نص التوظيف القرآني في المقامة	السورة
1	الصنعانية	-وتستخفي من مملوكك، وما تخفى خافية على مليكك	النساء108
2	الدينارية	-فليس على أعرج من حرج	الفتح17
3	الفرضية	-ولا رجم غيب -فأكرم مثواي -وأوهن من بيت العنكبوت	الكهف22 يوسف21 العنكبوت41
4	المغربية	-إن الغاسق قد وقب	الفلق3
5	السنجارية	-فغشيني من الهم، ما غشي فرعون وجنوده من اليم -حتى انتشر عن حمالة الحطب	طه78 المسد4
6	النصيبية	-فضرب الله على الآذان	الكهف11

المنارة للاستشارات

7	الفراتية	-حتى ادكرت بعد أمة -إني لأجد ريح أبي زيد -فتبسم ضاحكا من قولي	يوسف45 يوسف94 النمل19
8	القطيعية	-فبرزنا ونحن كالشهور عدة -أخذت زخرفها وازينت	التوبة36 يونس24
9	الرقطاء	-أو ينظرني إلى ميسرة	البقرة280
10	الوبرية	-وأحزان يعقوبية -فإنها إحدى الحسنيين	يوسف86 التوبة52
11	السمرقندية	-أما الساعة موعدكم -أما دار العصاة الحطمة المؤصدة -حارسهم مالك -حتى تحلل من الفرض، وحل الانتشار في الأرض	القمر46 الهمزة4،8 الزخرف77 الجمعة10
12	الواسطية	-و أقسم بالطور، والكتاب المسطور -وأوحده كما وحده الأواه -حتى خر القوم للأذقان -فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية، أو كصرعى بنت خابية -جعله مباركا أينما كان	الطور1،2 التوبة114 الإسراء109 الحاقة7 مريم31
13	الصورية	-الذي شرع الزكاة في الأموال -وزجر عن نهر السؤال -وأمر بإطعام القانع والمعتر -ويمحق الربا ويربي الصدقات	البقرة43 الضحى10 الحج36 البقرة276
14	الطيبية	-لنتبين الرشد من الغي	البقرة256

المنارة للاستشارات

15	التفليسية	-مني بالإعنات، أو بشر بالبنات -وتمثل لي بشرا سويا	النحل58 مريم17
16	الزبيدية	-خلته من ولدان جنة النعيم	الإنسان19
17	الشيرازية	-وقلتم ماله من خلاق	البقرة200
18	الملطية	-رأيت تسعة رهط -فلأحكم حكم سليمان في الحرث -لئلا يرتاب المبطلون -ويظنوا بي الظنون -حتى هان بذل الماعون -سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون	النمل48 الأنبياء 79،78 العنكبوت48 الأحزاب10 الماعون7
19	الصعدية	-قد رد موسى قبل والخضر -عطائهم كالمن والسلوى	الكهف77 البقرة57

المنارة للاستشارات

20	العمانية	-يا أهل ذا الفلك القويم، المزجى في البحر العظيم، بتقدير العزيز العليم -فلما استوى على الفلك -ونجا ومن معه من الحيوان -ثم تنفس تنفس المغرمين -أو عباد الله المكرمين -ونصحت لكم نصح المبالغين -سخر البحر اللُجيَ -وكلانا لا يملك فتيلا -ولا يهتدي فيها سبيلا -فأقبلنا نجوس خلالها -نتفيأ ظلالها -حتى أفضينا إلى قصر مشيد -لنتخذهم سلما في الارتقاء -فألفينا كلا منهم كئيبا حسيرا -وقرار من السكون مكين	الإسراء66 المؤمنون28 المؤمنون27 الو اقعة66 الأنبياء26 الأعراف79 النور40 النساء49 النساء98 الإسراء5 النحل48 الحج45 الأنعام35 الملك4 المرسلات21
21	التبريزية	-أما علمت أن النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب -يوم الندى قسمته ضيزى	النساء34 النجم22
22	التنيسية	-ونور القمرين -لمن يقتحم ذات اللهب	يونس5 المسد3
23	النجرانية	-وندر ضاربا في الأرض	النساء101
24	الحلبية	-وحيا بأحسن مما حييته -كما بورك في لا ولا	النساء86 النور35

25	الحجرية	-أو ركب طبقا عن طبق -المخفق مسعاه الكل على مولاه -وفي حرب كحرب حنين -كما حرم صيد الحرمين -و أنظرني إلى سعتي	الانشقاق19 النحل76 التوبة25 المائدة1 البقرة280
26	الحرامية	-أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة -فسولت لي النفس المضلة	الأنبياء80 طه96
27	الساسانية	-ولا يعقوب الأسباط فاحفظ وصيتي -وعليك بصبر أولي العزم -فضلوها على وصايا لقمان	البقرة 133،132 الأحقاف35 لقمان13
28	البصرية	-المؤسس على التقوى -ويبكي ولا بكاء يعقوب	التوبة108 يوسف84

هذه أنماط توظيف الحريري للقرآن الكريم في مقاماته، والتي كان لها الأثر البالغ في حمل المتلقي على الإذعان و التسليم لما يطرح عليه من أقوال باعتبار أن النص القرآني يحمل حجة دامغة لكونها صادرة عن سلطة علوية، لا يمكن إلا أن تكون ملزمة لطرفي الخطاب.

7 -خاتمة:

إن تناول التراث الأدبي بالدراسة والتحليل يجب أن يكون قائما على أسس علمية وموضوعية، نتوسل بها للوصول إلى نتائج تكشف امتداد النص في نصوص سابقة، ليكون الامتداد حتمية واقعة بقصد أو بدون قصد، ولقد أدرك الحريري ما لاستحضار النصوص القرآنية من سلطة حجاجية على المتلقي، فهي تحيل إلى مصدر علوي، تأثيره مطلق وحججه مؤكدة عند باث الخطاب ومتلقيه، لأن هذا الكتاب المنزل حمل دعوة العقول إلى

المنارة للاستشارات

التدبر الموضوعي فيما يقدم لها، وبناء الرأي الأصوب في كل قضية تعترضها، أو موقف يستجد أمامها. كما أسهم توظيف القرآن في إضفاء صور بليغة حاكى فيها الحريري أفعال المكديين وحيلهم، فكان أن اتخذ منها دعائم لحججه في حمل المتلقي على التعاطف مع هذه الفئة، والتي صورها في كثير من المواقف بصورة الضحية لا الجاني. و في الختام نذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها:

- يعد الحجاج فعلا لغويا غائيا، يتحقق بتوظيف الباث لآليات وأدوات، يسعى من خلالها إلى حمل المتلقي على الإذعان والاقتناع، لكل ما يطرحه عليه من قضايا و آراء.
- أكسب تعدد الأشكال الحجاجية مع الآيات القرآنية نصوص المقامات درجة كبيرة من الإقناع.
- تجلت في القصة القرآنية حكمة متجاوزة للطبيعة البشرية القاصرة، فكان للتناص معها أبعادا دلالية أمدت المقامة الزبيدية بآليات حجاجية إضافية.
- لقد أدرك الحريري أهمية التناص مع القرآن الكريم، فأحسن استحضار آياته، وفي هذا دليل على معرفته بعلوم القرآن، فكان أن وظفها في مقاماته أحسن توظيف.
- جاءت الحجج في المقامات مترابطة و قائمة على إفحام الخصوم بالحجج والبراهين والتي لا سبيل لإنكارها أو دحضها، لأنها توافق العقل و لا تخالف العرف.
- زاد في درجة حجاجية المقامات ما حملت من قيم روحية وفنية وبلاغية، مستلهمة من توظيفها للقرآن الكريم، استطاع الحريري من خلالها أن يجمع بين مختلف الآليات الحجاجية: البلاغية، واللغوية، والمنطقية.

6- الهوامش:

*** *** ***

1 محمد فنطازي، التناص، مطبعة بن سالم، الجزائر، 2020م، ص44.

2 علي عبد النبي فرحان، وظيفة التناص الحجاجية والتأثيرية في مقامات الحريري، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته- دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة-، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، الأردن، 2010م، الجزء2، ص313.

3 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي- بنيته وأساليبه-، عالم الكتب الحديث، الطبعة الثانية، الأردن، 2011م، ص237.

4 شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 1954م، ص7.

5 شوقي ضيف، المقامة،ص7.

6 شوقي ضيف، المقامة،ص7.

7 عوض يوسف نور، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1979م، ص76.

8 أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار الملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، 1979م، ص362.

9 زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،(دط)، 1975م، ص63.

10 شوقي ضيف، المقامة، ص9.

11 شوقي ضيف، المقامة، ص44.

12 شوقي ضيف، المقامة، ص48.

13 شوقي ضيف، المقامة، ص50.

14 القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري، تحقيق: أحمد عبد السلام الطيبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثامنة، لبنان، 2015م، ص556.

15 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن-من خلال أهم خصائصه الأسلوبية-، دار الفارابي، الطبعة الثانية، لبنان، 2007م، ص611-612.

16 شوقي ضيف، المقامة، ص74.

17 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص228.

18 مقامات الحريري، ص262.

19 علي عبد النبي فرحان، وظيفة التناص الحجاجية، ص317.

المنارة للاستشارات

20 إبلاغ محمد عبد الجليل، شعرية النص النثري، ص67.

21 ينظر: علي عبد النبي فرحان، وظيفة التناص الحجاجية، ص317.

22 مقامات الحريري، ص29.

23 مقامات الحريري، ص472.

24 محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء الأول، ص502.

25 علي عبد النبي فرحان، وظيفة التناص الحجاجية، ص320.

26 مقامات الحريري، ص19.

27 مقامات الحريري، ص19.